صورولوجيا الإستشراق الديني في الرواية الأميركية

د.حازم هاشم منخي/ كلية الآداب / جامعة ذي قار

تقديم:

الإستشراق مفهوم واسع يعرف بأنه (دراسة علوم الشرق وأحواله ومعتقداته وبنياته الطبيعية والعمرانية والبشرية ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية (فلكل أمة مشخصاتها) في كل مجتمع ودراسة الهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتي صورها وأنواعها)(1) فكل شئ في الشرق هو موضوع للدراسة علي طاولة الإستشراق فالمعتقدات والتراث والناس أنفسهم مواد للبحث، فيما يراه آخرون علما يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعهم وماضيهم وحاضرهم(2).

وهذا التعريف قريب من التعريف الأول بالرغم من إختلاف الجمل وطريقة الصياغة فالإستشراق علم يدرس كل ما هو شرقي، وفي هذا الإطار أيضا نجد أن الإستشراق هو معرفة الشرق و دراسته(3)، أما إدوارد سعيد فقد كان الأكثر تحديدا لمصطلح الإستشراق وقد قسمه إلى ثلاثة مستويات:المستوى الأول: التعريف الأكاديمي للإستشراق وهو الذي يدرس في الجامعات، والمستشرق هو كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه،وهذا التعريف هو التعريف الشائع بين أوساط المثقفين، و المستوى الثاني:أسلوب من الفكر قائم علي تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، وهذا النوع قائم على إطلاق بعض الأحكام والنظريات عن الشرق ويدخل في إطاره الأعمال الفنية التي بها صور الشرق، المستوى الثالث: الاستشراق أسلوب غربي يهدف إلى السيطرة علي الشرق وبسط السيادة عليه، هذا النوع من الاستشراق ناتج عن قوى سياسية إمبرياليي0 فالاستشراق عند إدوارد سعيد علمي أو الذي يتسم بالأسس العلمية وهو تعريف أكثر شيوعا وهو ما يعرف بالاستشراق الأكاديمي أما المستويين الثاني والثالث فهما مستويين يعبران عن التوجه الامبريالي(4).

مفهوم الصورولوجيا:

بدا الاهتمام في العقود الأخيرة بأحد فروع الأدب المقارن، وهو علم دراسة الصورة الأدبية أو الصورولوجيا: (imagologie) ، وقد شهد هذا العلم إزدهاراً ملحوظاً بسبب مناخ التعايش السلمي الذي بدأ يظهر لدى أغلب الدول، وقد لوحظ أن الصور التي تقدمها الآداب القومية للشعوب الأخرى (تشكل مصدراً أساسياً من مصادر سوء التفاهم بين الأمم والدول والثقافات، سواء كان هذا إيجابياً أم سلبياً، ونعني بسوء الفهم السلبي ذلك النوع الناجم عن الصورة العدائية التي يقدمها أدب قومي ما عن شعب آخر أو شعوب أخرى..) (5).

إن كل صورة لابد أن تنشأ عن وعي، مهما كان صغيراً، بالأنا مقابل الآخر، وهي تعبير أدبي يشير إلى تباعد ذي دلالة بين نظامين ثقافيين ينتميان إلى مكانين مختلفين، وبذلك تكون الصورة التي هي جزء من التاريخ بالمعنى الوقائعي والسياسي، جزءاً من الخيال الاجتماعي، والفضاء الثقافي أو الأيديولوجي الذي تقع ضمنه، فيتضح لنا أن الهوية القومية تقف مقابل الآخر الذي قد يكون مناقضاً للأنا أو مكملاً لها، تبعاً للعلاقة التاريخية التي نشأت بينهما.

ومن المعروف أن الصورة لغة تختلط فيها المشاعر بالأفكار وهي ترجع إلى واقع ترسمه وتدل عليه، ولكن المشكلة كيف نظهر منطقية الصورة وليس كذبها، لذلك يعد علم دراسة الصورة جزءاً من تاريخ الأفكار والثقافات التي تنشأ في بلد واحد، أو عدة بلدان، وعن طريق الآخر نظفر بتفكير مختلف، يغني ثقافتنا.

كثيراً ما يكون التعبير عن الآخر نفياً له، إذ تدرس الصورة وفقاً لأفكار مسبقة، وتصبح تعبيراً عن الذات وعن العالم الذي يحيط بنا كما نراه وليس كما هو حقيقة بمعزل عن الأوهام التي تورث رؤية متعصبة، ولذلك تبدو صورة الآخر صورة للعلاقات التي نقيمها بين العالم (الفضاء الأجنبي)، وبيننا، فتبدو لغة الآخر لغة ثانية موازية للغة التي أتكلمها، قد تتعايش معها وتغنيها، من أجل إضافة شيء جديد، وقوله بشكل مختلف، وقد تنفيها لتعيش في عزلة ثقافية تؤسسها أفكار موهومة.

إذاً الصورة (فعل ثقافي لأنها صورة عن الآخر، وما عدا ذلك فنحن حين نتكلم عن الصورة الثقافية، يجب أن تدرس كمادة، وممارسة أنثربولوجية، ولها مكانتها، ووظيفتها ضمن العالم الرمزي المسمى هنا (خيالياً) والذي لا ينفصل عن أي مؤسسة اجتماعية أو ثقافية، لأن المجتمع يرى نفسه، ويكتب عنها، ويفكر فيها، ويحلم بها)(6)، من خلال هذا العالم الرمزي.

ومما يسيء إلى الصورة ويبعدها عن الرمزية والتعدد الدلالي هو شيوع النمط فيها، عندئذٍ تختزل إلى رسالة واحدة وجوهرية، هي بالنتيجة صورة أولى وأخيرة للآخر، أي صورة جامدة، تصلح لكل زمان دون أن يطرأ عليها أي تغيير، وبذلك يطرح النمط الصورة الحقيقية، ليفسح المجال إلى الصورة

المشوهة، التي تعتمد النظرة الثابتة، فتقسم العالم إلى ثنائيات جامدة في الثقافة تفوق أو تخلف والطبيعة، تؤكد هذه الثنائيات دونية بعض الشعوب أو تفوقها، مما يؤسس لدراسات عنصرية تزيد الهوة بين الشعوب، وهذا نقيض ما تسعى إليه الدراسات الصورية الحديثة التي تهدف إلى خلق التواصل بين الشعوب مزيلة سوء الفهم والتعصب.

وعلى هذا الأساس تتحول الدراسة عن صورة الآخر، إلى دراسة حول الوعي التعبيري للأنا، بمعنى آخر تتحول إلى دراسة منفتحة على الآخر مثل انفتاحها على ذاتها، لاعتمادها التسامح أي النظرة الندية التي تعترف بالآخر، ولا تعد الأنا فوقه.

ومن غير المؤكد أن ما نعده اليوم بالفضاء الثقافي الموحد، الذي يراه البعض يكون فضاء متجانساً، لأننا لم نتخل عن أوهامنا المسبقة حول أنفسنا وسواء تعلق الأمر بالأدب المحلي أم بالأدب الاستعماري، يجب الانتباه إلى المنظومة الموحدة ثقافة المركز المهيمنة على الثقافات الأخرى المحيطة تؤدي إلى إشكالية صورة الآخر، لأن هذه الإشكالية هي تفكير بصورة أساسية في (الانزياحات الإختلافية) فإنها تستطيع ويجب أن تأخذ مكانها ضمن المشاكل السياسية بمقدار ما هي جمالية لأن تقديم صورة مشوهة لأمة ما، عبر الأدب، يعني ترديداً في العلاقات السياسية اليوم، وتوتراً في علاقات الأمس، وإن أي محاولة للتواصل تقوم بين أمتين لابد أن تبدأ بدراسة الصورة التي تكونت عنهما في أدب كل منهما، لإزالة الصورة المغلوطة وبناء الصورة الصحيحة (7).

وقد يلاحظ المرء إهمال الجانب الجمالي في الدراسات التي تهتم بصورة الآخر في الأدب يؤدي بها إلى أن تتحول إلى نوع من الدراسات الاجتماعية أو الفكرية أو النفسية، لذلك نحن بحاجة إلى دراسات مقارنة تستطيع أن تقيم توازناً بين الانفتاح الفكري على الآخر، والانفتاح الفني على النص الأدبي.

صورولوجيا الإستشراق الديني:

تمثل المرجعية الثقافية الدينية ركنا مهما وأساسيا من إركان تشكيل المجتمعات عامة وتتمظهر في الأدب بصورة خاصة ولا تكاد تخلو اي دراسة ثقافية من البعد الثقافي الديني بوصفه مرتكزا في صناعة الهوية الجمعية ورافدا قادرا على إعادة الحياة في النظر والتفكير .

وتتغذى الثقافة الدينية على كم هائل من القنوات السائدة تتلاقى في الفرد والجماعة لتصنع الهوية، وهي تحمل عناصر وسمات الكينونة والإنتماء ومن ثم الأنا الجمعية، التي سرعان ماتتنامى وتستمد قوتها من موقفها من الأخر، هذا الأخر الذي يجنح به الى التمترس الثقافي او المواجهة او المؤامة الثقافية الشاملة.

ويبدو الدين بسلطة مهيمنة على أنساق الخطاب في المجتمعات عامة لكنه يتمكن بصورة أكبر في المجتمعات التي تعيش صراعا ما مع الأخر او التي ترفض اشكال التدافع والاقحام والغزو الثقافي وهو

بذلك يمثل وجهة النظر الاولى للأنا واللأخر، ومن ثم ليشكل ويضع كل المرجعيات الأخرى المكونة للهوية الفردية والجمعية به حتى في سعيها للتخلص من بعض أشكاله قبولا أو رفضا .

إن الأدب بهذا التوصيف أحد تمظهرات المرجعية الثقافية الدينية وهو معها يتمثل في عناصر من التلاقي والتصادم لغة وفكرا وموقفا، إذ إنها تمثل ذاكرته المستترة - وهو أي الأدب – يمثل حقلها الأثير في التبليغ والإيحاء والوصول والقدسية .

وفي ذلك الحضور المرجعي للثقافة الدينية بين الرواية العربية والانجليزية يتمظهر فهم الصورولوجيا عبر اكثر من مستوى، إذ يتحول النص الروائي الى منطقة مفعمة بالإشارات الى عناصر الأبوة الثقافية و يمثل توظيف الكتب الدينية المقدسة أحد أهم عناصر ظهور المرجعية الدينية في تشكيل صورولوجيا للأخر في النص الروائي المقارن، ويسهم الحضور نصا ومعنى في بلورة القناعات الشخصية ومن ثم تقديم شكل الكينونة الأخرى والتعبير ادبيا عندما يحتاج وجهة النظر من تداعيات فكرية . ومن خلال التعشيق والتركيب وهو ما نجده في رواية الأرهابي (Terrorist) لجون ابدايك، لكونها تتمحور حول الإسلام وإرتباطه بأحداث الحادي عشر من سبتمر، إذ (اشتدت اللهجة على الثقافة العربية واهم مكوناتها بعد أحداث أيلول ورأى الكثيرون ان هذه الثقافة هي احد أسباب الارهاب ورفض الأخر) (8)، ولذا فإن الحاجة أصبحت ملحة – كما يقول محمد أركون – لمراجعة الأمور نقديا، وتصحيح المنظورات وإستكشاف الأفاق المحتملة . وهي أشياء تتجاهلها عادة تلك الكتابات او الخطابات الإيديولوجية، التي يروق لها جو العداء والكره ايضا، فيما يجب أن تغلب جميع الكتابات حق المعرفة والتحليل النقدي لرهانات المعنى على كل عصبية قومية او دينية كما، ويجب ان تغلب على تلك العصبية العتيقة المشهورة تحت اسم (الجهاد) او إيديولوجيا الكفاح – وهي الترجمة المعاصرة او المعلمنة لمفهوم الجهاد القديم (9)، على (أن المرجعية الدينية في جهاد المستعمر لا تعني الإنغلاق ورفض الأخر المختلف)(10) وان الطابع الكفاحي –النضالي الذي لايمكن لإحد أن ينكر دوره وأهميته في بعض الفترات التي لا يزال يتغلب حتى الأن على الطابع المعرفي او الإبستمولوجي المحض (11)،ولذلك كانت تداعيات الحادي عشر من سبتمبر مصدر إلهام للعديد من الكتاب الاميركيين، مما أدى الى نشوء نوع أدبي حقيقي إذا طرح التطرف ايديولوجياته على الساحة السياسية والإجتماعية والإقتصادية فوجد الروائي نفسه وجها لوجه معه لذا راح يكتب عنه، فركز روايته على شخصية المتطرف .

رواية " Terroresb" "الارهابي":

في رواية " Terroresb" "الإرهابي" تلعب النصوص الدينية دورا مهما في ابراز المرجعية النصية للكتب المقدسة في تقديم فهم للصورولوجيا الدينية إجمالا إذ ترفدنا بإدراك واع لحركة ومسارات المرجعية الدينية للنص الروائي . وتدور احداث الرواية الامريكية حول فكرة شاب عربي

مسلم أسمه (احمد عشماوي) يعيش في الولايات المتحدة الامريكية:(جاء احمد نفسه الى هذه الدنيا نتيجة زواج بين أمريكية حمراء الشعر إيرلندية الأصل، وطالب مصري جاء الى الولايات المتحدة ضمن احد برامج التبادل الطلابي، فمنذ أيام الفراعنة وبشرة أجداده تتعرض للشموس وهم يعملون دون كلل في الحقول التي تغمرها مياه النيل الفائض ...لكن عمر عشماوي – والد احمد –عاد فجأة الى مصر بعد ان قالت له تريسا ميلوري - والدة احمد انها حامل،ولم تسمع منه بعد ذلك،ولم يرى عمر ولده احمد الذي ربته امه وسمته (أحمد ميلوري) على اسم والدها .

لكن أحمد عندما كبر، سأل أمه عن تفاصيل والده وإهتم بالإسلام ووصل اهتمامه إلى حد التدين الشديد وألغى اسم احمد ميلوري وأستبدله احمد عشماوي وتردد على مسجد الشيخ اليمني (الشيخ رشيد) (12)، حاول جون ابدايك في روايته هذه ان يدرس نفسيات العرب والمسلمين، مستعملا أيات قرأنية كثيرة في الرواية ومعلومات عن النبي محمد(ص) ومعرفة بالمذاهب الاسلامية . لذلك فهي تضمر جدلا حول مجموعة أزمات في النظرة للأخر في المجتمعات المختلطة، وهو مانراه بوضوح في تتبع الروائي المسبق للثقافة العربية الاسلامية، لاسيما في عمقها القرآني، اذ يشير في المقدمة المترجمة الى كونه قد إستقى معلومات مسبقة عن القرآن الكريم (فقد استقى معلوماته عن القرآن من صديقه شادي ناصر، طالب الدراسات العليا. واعتمد على ترجمة رودويل (1861) وترجمة ن.ج.داوود 1956) (13) . لذلك فإن رواية (الإرهابي) تصلح مثالا لدراسة صورولوجيا الإستشراق في نسق المرجعيات (دينية – آفاقية) وتجاورها وتجاوزها للمركزية الأنجلوسكسونية، وصورولوجيا مركزية الذات إذ يلفتنا " ابدايك" بقدرته على توظيف نصوص قرآنية بشكل عام في سياق ديني اسلامي، ففي حوار الذات مع الذات في فناء الإنسان وغيابه عند الحياة بعد الموت،يقدم لنا (ابدايك) النص الأتي (أين ذهب ذلك الجسد الضئيل ؟ ربما أختطفته يد الله القدير وكان مصيره الجنة في الحال ؟ كان الشيخ رشيد – إمام مسجد شارع غرب مين – يخبر أحمد أن المخلوقات يمكنها أن تصعد الى السماء بإرادة الله كما جاء في الحديث القدسي، وان الرسول ركب جوادا ايضا ذا جناحين،يقال له البراق وذهب به في رحلة الى السماء السابعة في صحبة جبريل الى مكان معلوم حيث صلى مع عيسى وموسى وابراهيم قبل ان يتسلم خاتم النبوة ويعود الى الأرض ويصبح اخر الانبياء، وكانت العلامات التي تركتها حوافر البراق على قبة الصخرة دليلا لا يقبل الشك على رحلة الرسول تلك الليلة، وتوجد قبة الصخرة هذه بمدينة القدس التي يسميها الكفار والصهاينة "اورشليم" اولئك الذين سيحرقون في نار جهنم التي وصفها القرأن بأنها " الحطمة " وكان الشيخ رشيد يتلو ايات من سورة الهمزة بصوت رخيم بغاية الجمال ..(وما ادراك ما الحطمة * نار الله الموقدة* التي تطلع على الافئدة* نها عليهم مؤصدة* في عمد ممددة*) (14)

ان النص يحتشد بمرجعيات صورة الأخر في عمقه الثقافي الديني، من مفهوم الجنة والنار في تبيانه لحياة ما بعد الموت، في رصد لافت للحديث القدسي في الإسلام والذي هو قول الله بلسان

الرسول محمد، عن الملك الصالح جبرائيل، ثم في ذلك التوصيف المحايد لواقعة الإسراء والمعراج في الثقافة الإسلامية وصولا الى توظيف نص قرآني صريح في وصف النار بالحطمة .

إن اللافت هو الثراء المرجعي في التوظيف، والوعي بصورة الأخر الإسلامي دينيا في الرواية على التقمص والتحدث بشخصية رجل مسلم متعمق في الدين دون أي تدخل في مسار يظهر كرهه للإسلام (ويفتح الشيخ رشيد عينيه قليلا، ويشرع في تفسير الأيات للصبي: إن الصورة تحدثنا هنا عن أصحاب الفيل، وتزعم الأيات أنها تتناول حادثة تاريخية وقعت بالفعل، وهي هجوم جيش أبرهة الحبشي على مكة . وكان أبرهة حاكم الحبشة وحاكم بلاد اليمن، أرض أجدادي المحاربين .وكانت الجيوش في تلك الأيام تضم فيلة محاربة، اي ان الفيلة كانت مكان الدبابات التي يسمونها "ام 1" هذه الايام، او المدرعة همفيز . بل ان هذه الفيلة كانت مزودة بجسم اكثر سمكا من مدرعات همفيز التي تزود بها قوات بوش في العراق . وقد زعم المفسرون أن تلك الحادثة التاريخية قد حدثت في نفس يوم مولد النبي عام (570) من ميلاد المسيح .فلابد أن النبي سمع عنها أحاديث أقاربه، ولم يسمعها من أمه، لانها ماتت أيضا قبل أن يتم السادسة أو ربما سمع جده عبد المطلب، وعمه أبا طالب يتحدثان عن هذه المعركة الاسطورية التي أندلعت عند قيام بني هاشم أو لعله سمع القصة من مرضعته البدوية التي ارضعته مع اللبن تلك اللغة العربية النقية التي تحدث بها فيما بعد)(15) .

على إن تفسيرات "ابدايك" على لسان (الشيخ رشيد) كانت في أغلبها تفسيرات بعيدة عن روح الأيات او ملتوية، ربما يريد ان يشي بدلالة معينة وهي ان بعض التفسيرات الملتوية هي التي تؤدي الى مثل هذه الأعمال التخريبية، والدليل على ذلك إنه يقدم بطل روايته (أحمد عشماوي) وهو غير مقتنع ومتشكك في أغلب التفسيرات التي يقدمها له الشيخ الأصولي اليمني (الشيخ رشيد) فيكون متردد في قبوله لها: (ولكن تفسير الشيخ رشيد لم يعجب أحمد لانه كان يذكره بأراء معلميه التي لم يكن يقتنع بها في المدرسة الثانوية، وهي أراء يسمع فيها صوت الشيطان جليا) (16) .

ونلمح ذلك أيضا في قول أحمد: (سيدي،مالك تستخدم كلمات مثل "تزعم و"يفترض" رغم ان السورة تبدأ بعبارة " الم تر ؟" وهذا معناه ان النبي وصحبه قد رأوا الواقعة رأي العين .نعم رأها ولكن بعين رأسه او بخياله، وكم من أمور رأها النبي بخياله، ويختلف العلماء وهم جميعا مؤمنون بأن القرآن من عند الله، حول حقيقة وقوع هجوم أبرهة..وهي طير " الأبابيل " لم ينبئنا القرأن بسرها ولو إنها مفسرة ومشروحة في اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب الموجود في الجنة ... ولا يبقى على وجه أحمد الإ علامة القلق – مولانا هل تقصد أن النسخة التي لدينا من القرأن الكريم والتي جمعها الخلفاء الراشدون على مدى العشرين عاما التي تلت وفاة الرسول، تفتقر الى الكمال اذا ما قورنت بالنسخة الخالدة في اللوح المحفوظ. النقص لابد في أنفسنا يا بني، وفي جهلنا، وكذلك في الذين دونوا القرأن عند النبي خذ على ذلك مثلا عنوان سورة الفيل التي بين ايدينا فهو في الاصل كلمة "الفيلاس" التي كان الاحباش يطلقونها على عرش ابرهة، فلما سقط اخرها أصبحت " الفيل " ورغم ان النبي كان

يرفض لقب شاعر فقد كان على درجة عالية من الشعرية خاصة في السور المكية الأولى، أجل، إن النسخة التي بين ايدينا من القرآن يعتريها النقص، ورغم مافي ذلك القول من تجديف، ولكن النقص الذي أقصده هو النقص الذي يأتي من جهلنا الشديد وحاجاتنا الى التفسير الصحيح ... إن أحمد الأن يشعر أن حفرة سحيقة تتشكل في أعماقه هو واسعة مليئة بالشك والتساؤل فيما تركه السلف فمن يجيبه؟).(17)

إن قوة تدين احمد أعجبت الشيخ رشيد، فعندما لاحظ تدين احمد فكر ان يجنده للقيام بعمليات إرهابية إذ كان هذا الشيخ الأصولي المتطرف جزء من خلية إرهابية لذا فإن اهتمامه بأحمد كان بشقين: كان يعلمه الإسلام المتطرف من جهة، ويجنده للإرهاب من جهة أخرى .أما احمد فإن تدينه كان ردة فعل على صورة المجتمع الذي يعيش فيه – كما يصور الكاتب - فيصور هذا المجتمع الذي يتصف بإنحدار القيم وعلو المادة والإسترسال في العنصرية والغرق في تخمة الإستهلاك، فيكون مدفوعا الى التدين الشديد لنفوره من المجتمع الذي يعيشه فيواجه هذا المجتمع بالرفض المستند الى التدين الذي تتصارع فيه المادية والروحية ولذلك فإن تدينه يغدو استراتيجية لمقاومة سلطة الواقع والمجتمع، فهو يضمر إحساسا عنيفا بالمفارقة، فهو يعيش تفاصيل الواقع مظهريا ولكنه يختفي احساسا بوجوب تقويض أركانه ونسف أسسه ولذلك فإنه وقع في شراك الشيخ رشيد .

وفي الجدول الذي تحدثه قدرة الكاتب على تقديم شخصية البطل بثقافة إسلامية في مجتمع مسيحي، تأخذ المرجعية الدينية في الرواية حضورا مضافا ومعمقا، اذ تكمن المفارقة في تشكيل الصورولوجيا الدينية عندما يكون الروائي - امريكيا - إذ يظهر حجم تبادل الأدوار التي تسعى الى تمويه وجهة النظر وتغليفها بأدوات الأداء السردي للروائي في براعة مزدوجة بين تغييب الأصول والمرجعيات وإظهارها، وفي رسم الشخصيات دون إشعار المتلقي بالموجه القصدي المضمر في الرواية .

إن دوافع الرواية المنبثقة من تداعيات الصراع الحضاري والثقافي والسياسي بين الشرق الإسلامي والغرب هو الموجه المرجعي لتشكيل مسارات الرواية لكنه ليس الوحيد اذ تتداعى جملة اتجاهات تاريخية وفلسفية وأدبية في خلق المقاربة الفكرية التي تسهم في تنضيج صورة الأخر في الرواية، وهو ما تؤكده عتبة الغلاف والعنوان في الرواية إذ إن الإثنين يشيران الى تشكيل ثقافي موجه بمرجعية دينية تتفاوت في الاعلان عن نفسها وفي الإضمار داخل الرواية.

فعلى الرغم من أن (ابدايك) يبدو مؤيدا لشخصية (أحمد) في وجهة نظره المتعلقة بالمجتمع الامريكي المعاصر، (فموقف (ابدايك) مما الت اليه امريكا في عصرها الحديث تحت ضغط الاستهلاك وهيمنة الشركات وانهيار القيم، الى غير ذلك هو ما تعلنه غير رواية ومقالة لأبدايك فهو موقف معروف ومعلن) (18) إذ يقدم الروائي صورة كئيبة ومؤلمة للحياة الأمريكية المعاصرة من ضغط الإستهلاك وعلو المادة والغرق في أسر العنترية والإسترسال فيها وتخمة الإستهلاك والخفة السوقية،

يقول ابدايك على لسان - جاك ليفي - مرشد مدرسة سنترال الثانوية (تراهم في المماشي يستظلون بالاشجار في ايام لم تكن تسمع الضجيج الذي يصدره الجيتار، او حديث رجل الدين ونسائه عن زواج المثليين. اليوم ترى الشباب يتحدثون في المكتبة عن كل شيء بصوت مسموع كأنهم في بيوتهم. ضاعت القيم حتى في الأفلام السينمائية. دحرها جهاز التلفاز فلم يترك منها شيئا. وعندما تستقل هي وجاك الطائرة الى نيو مكسيكو لزيارة ماركي في البير كوركي،كانت ترى الركاب يرتدون السراويل القصيرة التي تظهر منها سيقانهم بطريقة معيبة، او يرتدون شيئا يشبه البيجامات الفضفاضة مما لا يتسق مع المقام، لقد جعل التلفاز الناس يشعرون أنهم في بيوتهم أينما وجدوا، لايشعرون بالفرق بين الحشمة والوقار، ترتدي النساء السراويل القصيرة ويجلسن امام التلفاز فتسمنَ، وتتحول اجسامهن الى كتل من اللحم المكتنز، كانت –هيرميون - اخت زوجة جاك ليفي المرشد التربوي، محظوظة حين حصلت على وظيفة مهمة في واشنطن مع اللاعبين الأساسيين في الإدارة الاميركية . ولكن الطريقة التي تتحدث بها عن رئيسها في العمل تدعو للضحك، مخلصنا !! ... تذكرك بتلكم الراهبات والقساوسة الذين تتكشف شخصياتهم عن قسوة في القلب، وإفراط في المجون، وقولا لا يعضده عمل كما تعرف من اعتدائهم الجنسي على الاطفال الذين وثقوا بهم وألتمسوا عندهم الهداية الى الكاثوليكية الصحيحة، مافائدة الإضراب عند الزواج والزهد وإعتزال الناس إذن ؟ أليس من الخير أن يتزوج المرء ويفعل مايفعله الناس في هذه الحياة ؟ أليس هذا كافيا للتحرر من دواعي الكبت والإحباط، والتخلص من الإفكار الرومانسية المضحكة ؟)(19) فعلى الرغم من النقد الذي يمرره (ابدايك) على لسان شخصيات روايته، وتعاطفه مع بطل الرواية (أحمد عشماوي) لكننا نلمح ومنذ الوهلة الأولى في الرواية، صورة نمطية تتضمن أفكارا مسبقة تتقارب مع الفهم الإستشراقي، نلمح ذلك وكما اسلفنا في عنوان الرواية (الإرهابي) "Terrorist"، ووصفه بالمعنى العرقي والعنصري، فهو " عربي مسلم " و(ملتزم بصلواته ويقرأ القرآن آناء الليل واطراف النهار حتى ليظنه القارئ الاوربي ان القرآن هو السبب وراء هذه النزعة الارهابية التي يتبناها الشاب وتلك الرغبة في الموت دون سبب معقول)(20) حتى إن صورة الغلاف تمثل إنعكاسا لصورة شاب على الأرض وهو يبتعد والصورة ضبابية مظلمة ذات تقاسيم غير واضحة .

إذن هناك علاقة جدلية بين اللغة والوعي لا تتوقف، فهو وإن حاول تجاوز النمطية المعهودة في تقديم الصورولوجيا لكنه لم يبرأ منها، (من المستحيل تجنب الا تظهر الصورة - المقدمة عند الأخر - في هيئة نفي له، سواء كانت الصورة مقدمة على المستوى الفردي من قبل الكاتب ام على المستوى الجماعي من قبل الامة فالكاتب، صدى لروح الأمة وأفكارها .. اذ لا يكون التعبير عن الذات الا بنفي الاخر او تشويهه!!)(21)

إن الحضور المرجعي الثقافي الديني في رواية (الإرهابي) يظهر بوضوح في صورة تأويل النص، فهو يحمل في الرواية (الفتوى) الدينية، وهي نسق نصي مرجعي ذو قدرة وتأثير عاليين

مسؤولية الفعل السياسي الديني في ثنايا الرواية، وهو في إشتغاله على النص يستلهم نصوصا دينية كقوله تعالى: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالقتل " ..الى سياق مواجهة فتاوى قتل الغربيين او النصارى التي يصدرها رجال الدين وتشكيل قناعة (أحمد) في مواجهة المجتمع الذي يعيش فيه .

وهو ما يظهر في هذا النص من الرواية على لسان جاك ليفي المرشد التربوي،عند تخرج أحمد من الثانوية: (ينهض قس كاثوليكي ليبارك للخريجين النصارى،وينهض إمام مسلم ليبارك للخريجين المسلمين، وينهض حبر يهودي ليبارك لليهود . يقف الإمام المسلم في قفطانه وعمامته البيضاء التي أحكم وضعها على رأسه،ويرتفع صوته باللغة العربية مما دفع الحضور الى صمت مطبق .ثم لا يلبث أن يترجم ما قاله الى الانجليزية،، الله خلق كل شيء وهو الواحد القهار، انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب ومن الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع فيمكث في الارض، ونقول للذين يتخرجون اليوم: إرتفعوا فوق الزبد والغشاء، وأمكثوا في الارض،وللذين تصيبهم المصائب لأنهم اختاروا الطريق الى المستقيم، نقلو لهم ماقاله النبي: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وهنا يتأمل ليفي حديث الرجل ويفهمه، رجل نحيل يتحدث بلسان العصمة ويمثل منظومة كاملة من المعتقدات كانت منذ سنوات سببا في موت بضع مئات، ضمن ألاف اخرى من موظفي شمال نيوجرسي الذين كانوا يذهبون الى أعمالهم في نيويورك حينئذ نثرت مدينة نيوبروسكبت سكانها على الأماكن العالية ليروا الدخان الكثيف المتدفق من برجي مبنى التجارة العالمي، متئدا في سيره حتى حط فوق بناية بروكلين، فتحول النهار الى ظلمة حالكة يتذكر جاك ليفي اسرائيل التي لاتنام تحسبا لشيء قد ياتي به الغيب في اية لحظة، وتذكر معابد اليهود القليلة في اوروبا يحرسها البوليس ليل نهار تحسبا لكراهية قد تتمخض عن حادث، تذكر ذلك كله فذهب ما كان يضمره للإمام من حسن النية، ولم ير شيئا غير أن وجود الإمام في زيه الأبيض، وعمامته الضخمة مثل قطعة العظم الغريبة التي انحشرت في حلق المناسبة)(22)،

يجمع الكاتب في النص السابق بين صور نمطية بين الذات والأخر يعبر فيها في حدود نظرته للانساق الثقافية المحركة لنصه، وهو في توظيف للمرجعية الثقافية واستعماله للنصوص الكريمة وتمثيله للشخصية الدينية في نصه يوحي بعدد كبير من الدلالات المتساوقة في إ&لتقاط التفاصيل الدينية وتوليدها بما يتسق مع موجه مركزي غايته تبئير عناصر الكينونة من خلال تقليل القيمة الإعتبارية للأخر و هو توجيه مغرق في أناه الإستشراقية البكر المتوارية في فهم صورولوجيا الأخر في النص الروائي الأميركي .

إن صورة المسلم بشكل عام والعربي بشكل خاص، تتسم بحضور ثابت في الوعي الغربي صيغت قسماته منذ آمد بعيد، يمتد الى ايام الحروب الصليبية وينتهي بالصورة الأكثر معاصرة في حقبتنا الراهنة، على وقع التحذيرات من صدام حضاري وشيك مع عالم المسلمين وخطرهم الدائم (23) بما

يمثلون من هجرة غير مشروعة، وتخلف حضاري، وشخصية متعصبة،وانغلاق اصولي جارف (24) ثم (جاءت بعد ذلك احداث ايلول عام 2001 الإرهابية ومانجم عنها من تداعيات خطيرة قادت في بعض جوانبها الى ما يعرف بالحرب على الإرهاب .. ساهمت على امتداد نصف القرن الأخير في تكوين صورة يتم المطابقة الدائمة فيها بين المسلم وبين كل السمات المكروهة والسلبية في انماط الشخصية كما ترسمها المنهجية المتميزة، انه الربط المستمر بين الإرهاب وبين الإسلام، او بين الإسلام والاستبداد ورفض الديمقراطية.. من الطبيعي ان يجعل الفرد بشكل عام يتقبل الصياغات الإعلامية اليومية، لما اوجد عنده حالة خوف من الاسلام والمسلمين بشكل ارهاب وفوبيا،تتسلل باستمرار الى الوعي)(25).

إن الكاتب يقدم الصورولوجيا الدينية في مرجعياتها الثقافية في سرد لا غموض فيه موازيا الصورة التي تقدمها بعض وسائل الإعلام والثقافة في الغرب عند المسلمين الى تشكيل جديد.

ويمكننا بجلاء ان نتبين كيف جرى تمييز العالم الإسلامي في العقل الغربي وبخاصة في عقل الولايات المتحدة عند مناطق أخرى في العالم يمكن تطبيق تحليل الحرب الباردة فيها، إذا ومع أحداث الحادي عشر من سبتمبر أصبح الإسلام الأصولي المتطرف الذي يعلنه المسلحون ويعتقدون فيه، موضع جدل ويتمتع بمساحة واسعة من النقاش على مستوى العالم، الأمر الذي أدى في النهاية الى وصف الإسلام بالإرهاب، إن (الحركة التي تدعي هذه الأيام بالأصولية ليست هي النموذج الإسلامي الوحيد . هناك نماذج أخرى متنورة ومتسامحة يمكنها أن تساعد على إلهام الإنجازات العظيمة للحضارة الإسلامية في الماضي . ونحن نأمل ان هذه النماذج سوف تنتصر مع مرور الوقت)(26).

لكن مع أحداث سبتمبر 2001 أصبح الإسلام الإصولي المتطرف الذي يعلنه المسلمون ويعتقدون فيه، موضع جدل ويتمتع بمساحة واسعة من النقاش على مستوى العالم، الأمر الذي أدى في النهاية الى وصف الإسلام بالإرهاب، مما حدى به في نهاية المطاف الى أن يكون بيئة خصبة لصراع او صدام الحضارتين الإسلامية والغربية، لذا فمن وجهة نظرهم أن خطب وفتاوى رجال الدين في الإسلام نارية وسياسية غالبا ماتحرض على الكراهية والحقد، وهذا ما أدى الى نشوء صورة نمطية سلبية مشوهة عن الإسلام . ولكن (ماعلينا سوى أن نتذكر الإسراف العاطفي الذي أنطوى عليه تناول الصحافة الحرة لشخصيات متدينة غير ليبرالية مثل البابا يوحنا بولس الثاني لنتبين مدى العدوانية العوراء التي تضمنها الموقف ضد الإسلام)(27)، فقد مارست الكنيسة في العصور الوسطى العنف والقتل تجاه كل المتدينيين بغير دينها، وأقامت محاكم التفتيش هنا وهناك وأحرقت وقتلت جماعات كبيرة من الناس وهذا النهج سار عليه المتطرفون من المسلمين فمنعوا كل عقيدة تخالفهم، بل قاموا بتكفير المسلمين، فالعقل العلمي والتاريخي في أوروبا يصعد منذ القرن السابع عشر ضد العقل المسيحي الأصولي المهيمن ومن خلال صراع هائل وخصب معه .وكذلك الأمر فيما يتعلق بالعقل العلمي والفلسفي في

الساحة العربية والإسلامية، أيضا سوف ينهض من خلال صراع داخلي عنيف ومثمر مع العقل الإسلامي الأصولي(28).

إن النص السابق من رواية (الإرهابي) يبدو مؤشرا للصورولوجيا الدينية فهو يمثل نمطا على درجة قصوى من الاهمية لأنه يؤكد الوشائج المتينة المبنية بين اللغة في معيارها الأدبي الديني والواقع السياسي فكل ما يمت الى دراسة الإسلام بصلة وخاصة في العالم العربي المعاصر مشبع بالأهمية السياسية، الإ إنك تكاد لاتجد أي كاتب حول الاسلام سواء كان خبيرا او مثقفا غير مختص يعترف بهذه الحقيقة فيما يقول او يمارس، لانه يفترض أن الموضوعية تتأصل راسخة في صلب التكوين الثقافي حول المجتمعات الاخرى قسريا في حركة التاريخ الطويل للقلق السياسي والأخلاقي والديني الذي تنطوي عليه المجتمعات الغربية والاسلامية بدرجة متوازية(29)، اذ وفي هذا النص الروائي يتم إختزال المسلمين وخاصة العرب كونهم مادة الإسلام الى "رجال دين بدائيين حمقى"(30) وإنهم مظهر من مظاهر الرعب والحرب التي يشنها الإرهابيون ضد الحضارة الغربية، فالكاتب من خلال تقديمه لهذه الصورولوجيا الدينية بمرجعياتها الثقافية، يجتهد في نقل المفهوم الشيطاني للشخصية الدينية المسلمة وحيزها الجمعي، فتندمج الذات المنشطرة بين ماهو وعي (شعور) مدرك، ولاوعي (لاشعور)غير مدرك من قبل الكاتب .

وبالعودة الى نصوص اخرى من رواية الارهابي، نرى ان الكاتب يقدم في نصوصه صورلوجيا دينية يتجلى فيها الصراع بين الديانتين المسيحية والإسلامية،مستغرقا في تفاصيل الحوار الندي الظاهر بين الأديان والذي يخفي في داخله أنساق إستشراقية إذ يقدم "ابدايك"جدلا وصراعا بين (تايلنول و أحمد) بالنسبة لمسألة الدين) تقدم منه تايلنول،وكان أحمد أنحف منه، وراح يضغط بإبهامه على تجويف منكبه، وقال له و هو يزيد من ضغطه:

- أخبرتني جورلين إنك لاتحترم ديانتها ...

قال لها أحمد:

- دينها هو الباطل بعين، وعلى كل حال أخبرتني إنها لاتذهب الى الكنيسة إلا من أجل الغناء مع هذا الكورس الأحمق .

- يواصل تايلنول،الضغط على هذا المكان الحساس من منكب أحمد بإبهامه الحديدي فيعصف الغضب بأحمد، ويحمر وجهة،ويرد بوجه متشنج:

- لاتحدثني عن الحماقة، فلا يوجد من هو أ كثر منك حمقا ومن يعيرك إنتباها أنت أيها العربي الوضيع ؟ أيها المسلمون السود، أنا لا أتحداكم، ولكنكم لاشيء، ما أنتم الإ دواب حقيرة تمشي على الارض)(31)

إن الدين هنا يفرض نفسه كأيديولوجيا تمرد، فطبيعة الدين والثقافة السائدة بالنسبة الى تايلنول لا ترمي الى تصوير واقع موضوعي، و إنما تسعى الى تصوير شعور داخلي، مثار بمناسبة موضوع خارجي هو (الشرق) فإذا (كانت القوى سلطة، فإن التمثيل، او إعادة الإنتاج سلطة أخرى أيضا، وهذه السلطة مستمدة من مستويات بحثية وثقافية، تحكمها النزعة الإستعلائية، والإحساس بالتفوق الجنسي (العنصري) فضلا عن التفوق الثقافي)(32)، لذا فإن - تايلنول - يشتم - أحمد - شتائم عنصرية ويعتدي عليه بالضرب أما من جانب احمد فإنه يختار طريق الأصولية والتطرف لأنه يعتبر الغرب فضاء الكفر والإلحاد والماديات والتفسخ الأخلاقي والانحطاط القيمي .

ونلمح ايضا في مواجهة الأخر الغربي –ابدايك- للذات المسلم، صورولوجيا دينية تنبثق منها خصائص وموروثات ورؤى الأخر الغربي ومرجعياته الثقافية، مع غيره من المنتمين الى جنسه وثقافته – الى دين الإسلام، فنلمح في نصوصه موقف المسيحية في مرجعيات الكاتب الثقافية من نبوة محمد (ص) أذ يظن الكاتب أن القرآن شعر.. كتبه محمد (ص) (33).

وهذا ما يشير إليه في أغلب نصوصه (ولا يلبث أن يدرك أن الزحام الشديد في الصورة الأخرى ما هو الا يوم القيامة الذي أستلهمه محمد حين كتب الكثير من أشعاره الأسرة)(34) وكذلك ماجاء في احد النصوص الانفة الذكر نقول لهم ما قاله النبي {ولا تحسبن الذي قتلوا في سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم يرزقون } ..(35) فأبدايك هنا يقتبس من القرآن ولكنه يذكره كما لو كان شعرا أتى به النبي (ص) وان النبي (ص) هو المتحدث والمبتدع للقرآن، اذ (يختلف اهل الكتاب – يهود – ومسيحيين- مع المسلمين حول نبوة محمد .فكما ينكر اليهود الى اليوم نبوة المسيح الذي ولد منذ مايقارب من الفي عام،تتكرر نفس المواقف حيث تنكر كلا الطائفتين نبوة محمد الذي قام يدعو الى الاسلام منذ اكثر من اربعة عشر قرنا من الزمان)(36) .

ونتلمس أيضا في نصوص أخرى من الرواية، صورولوجيا دينية ذات أبعاد بثيمات متعددة، ثمة إستنباط للمعنى وإظهار لدلالته ومايشي به (وأحيانا اخرى يجد علامات على ممارسات إسلامية: سجادة صلاة، ونساء محتجبات، وصور مؤطرة للأئمة الأثني عشر، يتوسطهم المهدي المنتظر دون ملامح ظاهرة على وجهة، مما يدل على ان القوم من الشيعة)(37).

وايضا نجد ذكر للشيعة في هذا النص،حينما زار الشيخ احمد في ليلة المهمة التي أعده لها:(يبدو الشيخ محجما عن الوداع، هو ايضا في وضع الإستعداد... ويلقي نظرة على الحمام ليطمئن بإنه مزود بفوطة سوف يحتاجها أحمد بعد كل وضوء، ويضع سجادة على الأرض متوجها بمحرابها صوب الشرق حيث مكة والبيت الحرام، ثم يلقي نظرة على الثلاجة فيتأكد من إحتوائها على برتقالة وكسرة خبز وعلبة زبادي من أجل إفطار الشهيد - خبز من نوع خاص يسمونه خبز العباس يصنعه الشيعة في لبنان في الإحتفال الديني الذي يسمونه عاشوراء، يقول الشيخ:

- انه مصنوع من العسل والسمسم وبذور الينسون، وبه يسري العزم في جسدك، وتمتلئ بالقوة اذا اشرق الصباح)(38)

فمن خلال هذه النصوص التي يذكر فيها ابدايك مذهب (الشيعة) ربما نكتشف مساحة الخلط والجهل في تفاصيل الفرق الإسلامية و إن ابدايك لايخص بالإرهاب مذهبا معين وإنما يريد أن يسقط الإرهاب على الإسلام بصورة عامة، أو بتعبير اخر (كأن (الانا) الغربية لا يمكنها أن تثبت ذاتها الإ عبر نفي الأخر)(39). وهو ما لا يمكن التحول عنه إلا من خلال أنموذج واقعي من الحوار، يمكن إنتاجه على سبيل النقد والمجاوزة ويتوجه الى الأخر كما نراه ونتلمسه ونتحسسه وليس كما نتمثله في الذهن، دون احكام مسبقة او قبليات ذهنية او اطر مخيالية (40) عندها (يصبح التفاهم بين العقلين الغربي والإسلامي أمرا ممكنا وأملا مشتركا عندما يقوم كل عقل بمراجعة بديهياته ومقولاته وإستقراء واقعه ونقد ذاته بمعزل عن النظرة المصطنعة والإقصاءات المتبادلة) (41) .

وهي منطقة إشتغال إنساني بين محطات مشتركة بين اكبر الأديان المكونة للكينونات الثقافية بين الشرق و الغرب وهي المسيحية والاسلام في إطار من التسامح يتجاوز عنصري التشويه السلبي أو الإيجابي للأخر وفق ما تفترضه الصورولوجيا من مفهوم للذات وللأخر "فالتسامح هنا اهم عناصر المجتمع المدني ويعني المساوة على الشريعة او جعل الدولة بلاهوية دينية) (42) أو هو في الدراسة المقارنة أعلى مراحل التجرد الموضوعي في توصيف الأخر الثقافي .ف "المكون الاسلامي لا غنى عنه في تحديد هويتنا الثقافية ولكن شريطة ان ينأ بنفسه التعصب الديني والمذهبي، وعن نزعات التفكير والعنف وان يلتزم بمبدأ حرية الاعتقاد عملا بقوله تعالى (لا اكراه في الدين)..ان اسلاما مستنيرا كهذا لن تكون له مشكلة مع اتباع الديانات الاخرى ولاسيما المسيحية) (43)

ويلفت نظرنا هنا نص يقدمه جون ابدايك في روايته حينما تدعو جورلين (أحمد) للحضور الى القداس في الكنيسة فيرى (أحمد) وجود بعض التشابه في أسماء الأنبياء مثل اسم إبراهيم ونوح وغيرهما من الأنبياء، يقول القس في الكنيسة .(ينبئنا الكتاب المقدس أن فريقا خرج من صف الشعب الذي كان موسى يقوده طوال الطريق من مصر، دخلوا صحراء النقب، وشمال الأردن وعادوا وقالوا – حسب الإصحاح الثالث عشر من سفر العدد – قد ذهبنا الى الارض التي ارسلتنا اليها وحقا انها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها . غير ان الشعب الساكن في هذه الأرض معتزلون الى مدن حصينة عظيمة جدا وايضا قد رأينا بني عناق هناك ثم قالوا: العمالقة يسكنون في ارض الجنوب،والحيثيون اليبوسيون والأموريون يسكنون في الجبل ... وقد رأينا هناك بني عناق من الجبابرة فكانوا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم ..ثم ظهور محمد الرب في خيمة الإجتماع لكل بني اسرائيل .وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لايصدقونني بجميع الأيات التي عملت في وسطهم ؟ المزن كان من السماء آية،الماء إنجبس من صخرة حوريب كان آية، صوت الرب المتكلم في حوريب

من وسط النار كان آية اعمدة السحب بالنار كانت آية، والنار بالليل كانت آية، ايات بالليل وايات بالنهار ..وبالرغم من هذه الايات كان الشعب لايزال بعيدا عن الايمان ارادوا ان يعودوا الى مصر، ويعيشوا تحت رحمة ذلك الفرعون الودود، كانوا يفضلون الشيطان الذي يعرفونه على الرب الذي لايعرفونه ..أرادوا العودة لعبادة ذلك العجل الذهبي ..إنها العقيدة لم يكن لديهم عقيدة . هذا هو سبب تسميتهم بالجماعة الشريرة المتذمرة، وهذا سبب الوباء الذي حل ببني اسرائيل،وسبب هزيمتهم في المعارك وسبب العار والخزي الذي حل بهم .

كان ابوهم ابراهيم لديع عقيدة حين إستل سكينه وشرع يضحي بأبنه الوحيد اسحاق . وكان يونس لديه عقيدة وهو في بطن الحوت وكان للنبي دانيال عقيدة وهو في عرين الأسد. وكان ليسوع عقيدة وهو على الصليب، وكان يسأل الرب عن سبب تخليه عنه . ولكنه عاد في التو ونظر الى السارق المصلوب الى جواره ووعد الرجل، ذلك الرجل الشرير، هذا المجرم العتيد كما يقول علماء الجتماع، وعده بأنه سيكون جاره في الفردوس في ذلك اليوم نفسه) (44) لذلك لم يكن اسما ابراهيم ونوح غربيين على سمع أحمد وبصره . فقد ذكرهما القرآن، إننا نلمح في نص الرواية المتقدم، أن ابدايك يؤسس الى مرجعية ثقافية تتفاعل فيها خصائص النص للوصول الى أصل مرجعي واحد يمثل نقطة الارتكاز للأديان، ولذا فإن الصورولوجيا الدينية في روايته ماتلبث ان تومئ هامسة الى مغاراتها الموغلة في المعنى لتتفرج ابوابها عن رصيد ثقافي ومعرفي كبير يشير دون ان يصرح ويشتغل على مساحة النص المفتوحة الى اقصى مدياتها مؤسسا بذلك الى ارضية مشتركة تتلاقى فيها الثقافات والاديان، هكذا يبدو الرصد الزمني في نصوصه مغرقا في جدله موحيا في دلالته للأنه يمارس ثلاثة أنواع من المعالجة الروائية في تمثلها لصورولوجيا الإستشراق والتشويه السلبي الذي ترفده مرجعيات دينية وثقافية صريحة وفي جلد الذات عبر تشويه إيجابي للأنا وللأخر ثم في نسق من التسامح في تمثل الأخر روائيا .

وبصورة عامة فأن رواية الارهابي لجون ابدايك تبدو في نهاية المطاف، داعية الى تفادي العنف والإرهاب والتوصل الى تفاهم مابين الثقافات فالمرشد الدراسي الأمريكي (لجاك ليفي) هو الذي يمنع وقوع كارثة (تفجيرات النفق)وليس عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي (FBI) عندما يظهر قادرا على التعاطف مع احمد وتفهمه، وكذلك فإن احمد يتراجع ويفهم فداحة عمله ويتوصل الى ان الله لايريد الهلاك فهو خالق العالم ومقدر الموت: (النور في الركن يتغير والمرور يتباطئ ويضطر الى التوقف ان السيد ليقي يتحر بسرعة عبر الحارات والسيارات ويصل الى الشاحنة.. لم يكن من طبيعة احمد ان يغمط معلميه حقوقهم من الاحترام فهو يفتح له الباب، لن يتركه واقفا خارج الشاحنة

-لا اصدق انك تنوي قتل المئات من الابرياء ؟

-ومن قال ان الكفار ابرياء ؟ الكفار يقولون ذلك ولكن القرأن امرنا ان نكون اشداء عليهم . امرنا ان نحرقهم بالنار، ونسحقهم تحت اقدامنا، لانهم نسوا الله، ويريدون الاكتفاء بانفسهم من دونه في هذه الحياة الدنيا ولانهم يحبون هذه الحياة الدنيا اكثر من حبهم للاخرة .

-وتريد ان تقتلهم الان ؟ اليس ذلك في غاية القسوة والخطر ؟

هل تصدق ان الله اداة لتعذيب البشر ؟المعذب الاكبر ملك افعال الابادة الجماعية بلا منازع ؟

_ الان حان وقت القفز ياسيد ليفي اذا دخلنا النفق لن اتوقف

يضع المرشد الطلابي يديه على ركبتيه وبنطلونه الذي لايتسق لونه البني مع لون القميس حتى يعرف احمد ان ليقي لن يلمس الباب، ولن يخرج من الشاحنة

_ اراهن على انك لاتريد ذلك من اعماق قلبك انت غلام طيب غاية في الطيبة، اخبرتني امك انك لم تكن تتحمل دهس حشرة بقدمك وكنت تحملها على قصاصة ورق تلقي بها من النافذة ..

يترنح السيد ليفي على مقعده متظاهرا بعدم المبالات او قل يداري رعبه من وراء حشد من الصور التي استدعاها من اعماق الذاكرة ويهتف بجاك ليفي مستفزا:

اضغط وخلصني،سأغمض عيني واصلي "يسوع تعبت في ايامي الاخيرة يخاطب احمد نفسه: يريد ان يموت . يريدني ان اقوم عنه بالمهمة، يحدثنا القرآن في سورة الواقعة عن اللحظة التي تبلغ فيها روح الميت حلقومه ما اشبه هذه بتلك، طالب الرحلة واستعد البراق، ارى جناحيه المتالقين يخفقان، ينطويان وينبسطان. وفي السورة نفسها يتوجه الينا الخالق بالسؤال: {نحن خلقناكم فلولا تصدقون* افرأيتم ما تمنون* أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون* نحن قدرنا لكم الموت وما تحته بمسبوقين} الله لايريد الهلاك، انه خالق العالم ومقدر الموت. تبدو أحجار الجدران والسقف الذي أعتمه الزمن، اشكالا مريعة لا حصر لها في خيال احمد، شيئا عملاقا كأنه موجة تدفع اخرى بعيدا عن النقطة التي يتمركز في جوفها العدم، الى حيث الوجود الرحب , قضت ارادة الله بترك العدم والتحول منه الى الوجود . تلك هي ارادته منذ الأزل، هو الحي القيوم الكريم الذي لايعتريه نقص، النور الهادي. وكذلك امرنا ان لا ننسى قدسية خلقه بإرادة الموت لأنه شاء الحياة)(45). وهكذا فإن أحمد يتنور في النهاية، ويرفض اليقينيات الدوغمائية للإيمان التقليدي، والمسلمات المتشنجة للنظام المغلق في نظرته للأخر، فيما يعي الغربي الأميركي إنه يواجه ثقافة كان هو السبب في تأزمها وأنه مطالب بإدراكها وممارسة أعلى درجات التفهم للأخر في الثقافة الموازية والمناظرة .

الهوامش:

(1) الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، د. عبد المتعال الجبري: 013

(2) الاستشراق والتاريخ الإسلامي د. فاروق عمر:30 0

(3) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي:18 .

(4) الاستشراق، إدوارد سعيد: 37.

(5) الأدب المقارن، د.عبده عبود: 371.

(6) الوجيز في الأدب المقارن بيير برونيل وإيف سيفريل: 151.

(7) العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف: 587- 592 .

(8) صورة الاخر في التراث العربي الاسلامي،د. ماجدة حمود: 56 .

(9) ينظر: العلمنة والدين، محمد اراكون: 8 .

(10) صورة الاخر في كتاب الامير (لواسيني الاعرج)،ماجدة حمود، (الموقف الأدبي، ع2011،477م: 175.

(11) ينظرالعلمنة والدين، محمد أركون: 9.

(12) الارهابي، جون ابدايك،ترجمة احمد الشيمي:27.

(13) م . ن: 18 .

(14) م . ن: 19 .

(15) م . ن: 137،138 .

(16) م. ن:19

(17) م . ن:141،142

(18) العرب من زوايا امريكية اراهابي ابدايك،سعد البازعي،المجلة الثقافية،ع172، Monday 256h sebpmber.2006 .

(19) الارهابي: 164،165، 180 .

(20) م . ن:10.

(21) صورة الاخر في التراث العربي الاسلامي: 13.

(22) الارهابي:150 .

(23) ينظر: الاقليات المسلمة في الغرب، ابراهيم العبادي : 211.

(24) تغطية الاسلام،ادوارد سعيد:69.

(25)الاقليات المسلمة: 212

(26) الاسلام الاصولي، ادوارد سعيد:31

(27) م . ن: 59

(28) العلمنة والدين، محمد اراكون،ص10

(29) الاسلام الاصولي،74

(30) م . ن،: 9 .

(31) الارهابي:88 .

(32) تفكيك الاستشراق، د. صلاح الجابري:11.

(33) الارهابي،379 .

(34) م . ن:73 .

(35) م . ن: 105.

(36) الاسلام والاديان نقاط الاتفاق والاختلاف، لواء أحمد عبد الوهاب: 99 .

(37) الارهابي:219.

(38) م . ن: .216

(39) الذات والاخر تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع،محمد شوقي الزين:68.

(40) م . ن: 70 .

(41) م . ن: 68 .

(42) العلمنة والدين، محمد أركون: 32 .

(43) مفهوم الأخر من منظور عربي معاصر، د . عبده عبود، الموقف الأدبي ع 477، سنة 2011

(44) الإرهابي: 77 – 83 .

(45) م . ن: 346 – 370 .

المصادر:

- **الأدب المقارن، مدخل نظري ودراسات تطبيقية، د. عبده عبود، منشورات جامعة البعث، حمص،1992-1991 .**
- **الإرهابي، جون ابدايك، ترجمة وتقديم احمد الشيمي، سلسلة الابداع القصصي المشرف على السلسلة خيري ط1 / 2009 دومة العدد1324 .**
- **الإستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ادوارد سعيد، رؤية للنشر والتوزيع ط1 /2006 القاهرة .**
- **الإستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، د. فاروق عمر،الآلية للنشر عمان الأردن ص30 0**
- **الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، الدار العربية بيروت .**
- **الإستشراق وجه الاستعمار الفكري، د. عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة القاهرة، ط1 1995 ص 013**
- **الإسلام الإصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر اميركية، تاليف برنارد لويس /ادوارد سعيد، دار الجيل /بيروت ط1 /1414ه/1994م .**
- **الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف، لواء احمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الاسلامي .**
- **تفكيك الاستشراق قراءة نقدية على ضوء المذهب الواقعي د.صلاح الجابري المركز العالمي لدراسات وابحاث الكتاب الاخضر دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا ط1 /2005**
- **تغطية الإسلام، كيف تتحكم اجهزة الاعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم ؟ ادوارد سعيد ترجمة د.محمد عناني رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ط1 /2005/ 2006 .**
- **الذات والأخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، محمد شوقي الزين دار الأمان الرباط منشورات ضفاف بيروت لبنان/ منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة /الجزائر ط1 /2012م .**
- **العرب من زوايا امريكية، اراهابي ابدايك، سعد البازعي، المجلة الثقافية، ع172**

Monday 256h sebpmber.2006.

- **العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط2، 1973.**
- **العلمنة والدين، السلام المسيحية الغرب، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي ط3/ 1996 بيروت لبنان .**
- **صورة الأخر في التراث العربي الإسلامي، د. ماجدة حمودة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1 سنة 2010 .**

- صورة الأخر في كتاب الامير (لواسيني الاعرج)، ماجدة حمود،(الموقف الأدبي، ع 477سنة 2011 .
- مفهوم الأخر من منظور عربي معاصر، د . عبده عبود، الموقف الأدبي ع 477، سنة 2011 .
- الوجيز في الأدب المقارن .عدد من المقارنين الفرنسيين، بإشراف بيير برونيل وإيف سيفريل د.غسان السيد، ط1، 1999.